

## سورة البقرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7) وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمْ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10))

### شرح الكلمات:

{ كَفَرُوا } : الكفر: لغة التغطية والاحجود، وشرعاً: التكذيب بالله وبما جاءت به رسله عنه كلاً أو بعضاً.  
 { سَوَاءٌ } : بمعنى مُسْتَوٍ اندازهم وعدمه، إذ لا فائدة منه لحكم الله بعدم هدايتهم.  
 { أُنذِرْتَهُمْ } : الإذار التحويف بعاقبة الكفر والظلم والفساد.  
 { خَتَمَ اللَّهُ } : طبع، إذ الختم والطبع واحد وهو وضع الخاتم أو الطابع على الطرف حتى لا يعلم ما فيه، ولا يتوصل إليه فيبدل أو يغير.  
 الغشاوة : الغطاء يغطي به ما يراد منع وصول شيء إليه.  
 العذاب: الألم يزيل عبودية الحياة ولذته  
 { وَمَنْ النَّاسُ } : من بعض الناس.  
 { مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ } : صدقنا بالله ربا وإلها لا إله غيره ولا رب سواه.  
 { وَيَأْتِيهِمْ الْآخِرُ } : صدقنا بالبعث والجزاء يوم القيامة.  
 { يُخَادِعُونَ اللَّهَ } : بإظهارهم الإيمان وإخفائهم الكفر.  
 { وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ } : إذ عاقبة خداعهم تعود عليهم لا على الله ولا على رسوله ولا على المؤمنين.  
 { وَمَا يَشْعُرُونَ } : لا يعلمون أن عاقبة خداعهم عائدة عليهم.  
 { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ } : في قلوبهم شك ونفاق وألم الخوف من افتضاح أمرهم والضرب على أيديهم.  
 { فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا } : شكاً ونفاقاً وألماً وخوفاً حسب سنة الله في أن السيئة لا تعقب إلا سيئة.  
 { عَذَابٌ أَلِيمٌ } : موجع شديد الوقع على النفس. وهو عذاب النار؛

## هداية الآيات:

ثم ذكر الله قسماً آخر . وهم الكافرون الخُلص .؛ ففي هذه السورة العظيمة ابتداءً الله تعالى فيها بتقسيم الناس إلى ثلاثة أقسام: المؤمنون الخُلص؛ ثم الكافرون الخُلص؛ ثم المؤمنون بألسنتهم دون قلوبهم؛ فبدأ بالطيب، ثم الخبيث، ثم الأخبث؛ إذاً الطيب: هم المتقون المتصفون بهذه الصفات؛ والخبيث: الكفار؛ والأخبث: المنافقون..

لما ذكر أهل الإيمان والتقوى والهداية والفلاح ذكر بعدهم أهل الكفر والضلال والخسران، فقال: [إن الذين كفروا] إلخ. فأخبر بعدم استعدادهم للإيمان حتى استوى إندازهم وعدمه وذلك لمضي سنة الله فيهم بالطبع على قلوبهم حتى لا تفقه، وعلى آذانهم حتى لا تسمع، ويجعل الغشاوة على أعينهم حتى لا تبصر، وذلك نتيجة مكابرتهم وعنادهم وإصرارهم على الكفر. وبذلك استوجبوا العذاب العظيم فحكم به عليهم. وهذا حكم الله تعالى في أهل العناد والمكابرة والإصرار في كل زمان ومكان ولما ذكر تعالى المؤمنين الكاملين في إيمانهم وذكر مقابلهم وهم الكافرون البالغون في الكفرمنتهاه ذكر المنافقين وهم: المؤمنون في الظاهر الكافرون في الباطن، وهم شر من الكافرين البالغين في الكفر أشده. قوله تعالى: { سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذروهم لا يؤمنون } : هذا تسلية من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم. لا اعتذاراً للكفار .، ولا تبيساً له صلى الله عليه وسلم و "الإذار" هو الإعلام المقرون بالتحويف؛ والرسول صلى الله عليه وسلم بشير، ونذير؛ بشير معلم بما يسر بالنسبة للمؤمنين؛ نذير معلم بما يسوء بالنسبة للكافرين؛ فإنذار النبي صلى الله عليه وسلم وعدمه بالنسبة لهؤلاء الكفار المعاندين، والمخاصمين . الذين تبين لهم الحق، ولكن جحدوه . مستو عليهم...

أخبر تعالى أن فريقاً من الناس وهم المنافقون يدعون الإيمان بألسنتهم ويضمرون الكفر في قلوبهم يخادعون الله والمؤمنين بهذا النفاق. ولما كانت عاقبة خداعهم عائدة عليهم. كانوا بذلك خادعين أنفسهم لا غيرهم ولكنهم لا يعلمون ذلك ولا يدرون به. كما أخبر تعالى أن في قلوبهم مرضاً وهو الشك والنفاق والخوف، وأنه زادهم مرضاً عقوبة لهم في الدنيا وتوعدهم بالعذاب الأليم في الآخرة بسبب كذبهم وكفرهم

. قوله تعالى: { ومن الناس { : من { للتبعض؛ أي: وبعض الناس؛ ولم يصفهم الله تعالى بوصف . لا بإيمان، ولا بكفر .؛ لأنهم كما وصفهم الله تعالى في سورة النساء: {مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء} [النساء: 143] قوله تعالى: { من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر { أي يقول بلسانه . بدليل قوله تعالى: { وما هم بمؤمنين { أي بقلوبهم وسبق معنى الإيمان بالله، وباليوم الآخر. قوله تعالى: { يخادعون الله { أي بإظهار إسلامهم الذي يعصمون به دماءهم، وأموالهم..

قوله تعالى: { والذين آمنوا { معطوف على لفظ الجلالة؛ والمعنى: ويخادعون الذين آمنوا بإظهار الإسلام، وإبطان الكفر، فيظن المؤمنون أنهم صادقون  
 قوله تعالى: { وما يخدعون إلا أنفسهم { أي ما يخدع هؤلاء المنافقون إلا أنفسهم، حيث مَثَّوا الأمانى الكاذبة..

قوله تعالى: { وما يشعرون { أي ما يشعر هؤلاء أن خداعهم على أنفسهم مع أنهم يباشرونه؛ ولكن لا يُحسُّون به، كما تقول: "مَرَّ بي فلان ولم أشعر به ، قوله تعالى: { في قلوبهم مرض { : هذه الجملة جملة اسمية تدل على مكث وتمكُّن هذا المرض في قلوبهم؛ ولكنه مرض على وجه قليل أثر بهم حتى بلغوا النفاق؛ ومن أجل هذا المرض قال سبحانه وتعالى: { فزادهم الله مرضاً { : الفاء هنا عاطفة؛ ولكنها تفيد معنى السببية: زادهم الله مرضاً على مرضهم؛ لأنهم . والعياذ بالله . يريدون الكفر؛ وهذه الإرادة مرض أدى بهم إلى زيادة المرض؛ لأن الإرادات التي في القلوب عبارة عن صلاح القلوب، أو فسادها؛ فإذا كان القلب يريد خيراً فهو دليل على سلامته، وصحته؛ وإذا كان يريد الشر فهو دليل على مرضه، وعلته..

فهذا مرض زادهم الله به مرضاً إلى مرضهم حتى بلغوا إلى موت القلوب، وعدم إحساسها، وشعورها قوله تعالى في مجازاتهم: { ولهم عذاب { أي عقوبة؛ { أليم { أي مؤلم؛ فهو شديد، وعظيم، وكثير؛ لأن الأليم قد يكون مؤلماً لقوته، وشدته:

فضربة واحدة بقوة تؤلم الإنسان؛ وقد يكون مؤلماً لكثيرته: فقد يكون ضرباً خفيفاً؛ ولكن إذا كثر، وتوالى أمّ؛ وقد اجتمع في هؤلاء المنافقين الأمران؛ لأنهم في الدرك الأسفل من النار . وهذا ألم حسي .؛ وقال تعالى في أهل النار: { كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون } [السجدة: 20] ، وهذا ألم قلبي يحصل بتوبيخهم.

#### الفوائد:

1. تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم حين يرذّه الكفار، ولا يقبلون دعوته

2. ومنها: أن من حقت عليه كلمة العذاب فإنه لا يؤمن مهما كان المنذر والداعي؛ لأنه لا يستفيد . قد ختم الله على قلبه . كما قال تعالى: { إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون \* ولو جاءهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم } {يونس: 96، 97} ، يعني هؤلاء هم النار؛ انتهى أمرهم، ولا يمكن أن تنقذهم..

3. ومنها: أن الإنسان إذا كان لا يشعر بالخوف عند الموعدة، ولا بالإقبال على الله تعالى فإن فيه شياً من الكفار الذين لا يعطون بالمواعظ، ولا يؤمنون عند الدعوة إلى الله..

4. ومنها: أن محل الوعي القلوب؛ لقوله تعالى: { ختم الله على قلوبهم } يعني لا يصل إليها الخير..

5. ومنها: أن طرق الهدى إما بالسمع؛ وإما بالبصر: لأن الهدى قد يكون بالسمع، وقد يكون بالبصر؛ بالسمع فيما يقال؛ وبالبصر فيما يشاهده؛ وهكذا آيات الله عزّ وجلّ تكون مقروءة مسموعة؛ وتكون بينة مشهودة..

6. ومنها: وعيد هؤلاء الكفار بالعذاب العظيم.. إذا قال قائل: هل هذا الختم له سبب من عند أنفسهم، أو مجرد ابتلاء وامتحان من الله عزّ وجلّ؟

فالجواب: أن له سبباً؛ كما قال تعالى: { فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم } [الصف: 5] ، وقال تعالى: { فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية(المائدة: 13)

7. ومنها: أن العمل السيئ قد يُعمي البصيرة

8. بلاغة القرآن؛ بل فصاحة القرآن في التقسيم؛ لأن الله سبحانه وتعالى ابتداء هذه السورة بالمؤمنين الخالص، ثم الكفار الخالص، ثم المنافقين؛ وذلك؛ لأن التقسيم بما يزيد الإنسان معرفة، وفهماً..

9. ومنها: أن القول باللسان لا ينفع الإنسان؛ لقوله تعالى: ( ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين )

10. ومنها: أن المنافقين ليسوا بمؤمنين . وإن قالوا: إنهم مؤمنون .؛

لقوله تعالى: { وما هم بمؤمنين }؛ ولكن هل هم مسلمون؟ إن أريد بالإسلام الاستسلام الظاهر فهم مسلمون؛ وإن أريد بالإسلام إسلام القلب والبدن فليسوا بمسلمين..

11. ومنها: أن الإيمان لا بد أن يتطابق عليه القلب، واللسان..

ووجه الدلالة: أن هؤلاء قالوا: "آمنا" بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم؛ فصح نفي الإيمان عنهم؛ لأن الإيمان باللسان ليس بشيء..

12- ومنها: التحفظ من المنافقين؛ لأنه إذا قيل لك: "فلان يخدع" فإنك ترداد تحفظاً منها؛ وأنه ينبغي للمؤمن أن يكون يقظاً حذراً، فلا يخدع بمثل هؤلاء..

13. -أن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله؛ فهم يخادعون الله، ويظنون أنهم قد نجحوا، أو غلبوا؛ ولكن في الحقيقة أن الخداع عائد عليهم؛ لقوله تعالى: { وما يخدعون إلا أنفسهم }؛ فالخسر هنا يدل على أن خداعهم هذا لا يضر الله تعالى شيئاً، ولا رسوله، ولا المؤمنين..

14-: أن أسباب إضلال الله العبد هو من العبد؛ لقوله تعالى: { في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً }

15-ومنها: الوعيد الشديد للمنافقين؛ لقوله تعالى: ( ولهم عذاب أليم )

16-ومنها: أن العقوبات لا تكون إلا بأسباب . أي أن الله لا يعذب أحداً إلا بذنب .؛ لقوله تعالى: ( بما كانوا يكذبون )

17-ومنها: أن هؤلاء المنافقين جمعوا بين الكذب، والتكذيب؛ وهذا شر الأحوال

18-ومنها: ذم الكذب، وأنه سبب للعقوبة؛ فإن الكذب من أقبح الخصال . والله أعلم

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

## تفسير سورة البقرة

من الآية رقم (6) إلى الآية رقم (10)

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (3)



الألوكة

www.alukah.net

فوائدها من تفسير سورة البقرة

البقرة

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

اعدتها أبو احمد العراقي